الصلاة وأثرها في المسلم

عبد الرحمن بن ماهر عبد الله عقيل [1]

الملخّص

عنوان البحث: الصلاة وأثرها في المسلم. القسم: قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، شعبة الثقافة الإسلامية، وقد قسمت بحثي إلى ما يلي: تمهيد، وفيه التعريف بعنوان البحث. المبحث الأول: أهمية الصلاة. المبحث الثاني: الأثر الإيماني لفريضة الصلاة. المبحث الثالث: الأثر النفسي لفريضة الصلاة. المبحث الرابع: الأثر الاجتماعي لفريضة الصلاة. الخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات. ومن أبرز النتائج: 1- الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام، وهي عمود الدين. 2- الصلاة من الفوارق الكبرى بين الإيمان وعدمه. 3- أنَّ الصلاة تحقِّق زيادةَ الإيمان، وترفعه؛ لِمَا حَوَتْه من معاني الإيمان، ولِما فيها من القراءة والذِّكر .ومن أبرز التوصيات: 1- أنَّ على الجميع أن يوجدوا مراكزَ متخصِّصة تبحث في آثار هذه الفريضة العظيمة على الفرد والمجتمع. 2- أنَّ من الأمور التي ينبغي العناية بها على صعيد المؤسسات، الاهتمام بتوعية الشباب بأهمية الحرص على الصلاة في المساجد؛ حتى يحقِّق لهم التطور في السلوكيات، واكتساب الأخلاق الفاضلة ونَبْذ ما سواها، من خلال البيئة المباركة في المساجد.

الكلمات المفتاحية: الصلاة، الأثر، المسلم.

[1] الأستاذ المساعد في قسم الدعوة والثقافة الإسلامية كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى. <amaqil@uqu.edu.sa>

Prayer and its impact on the Muslim

[2]Abdurhman Aqil

Abstract

companions, and those who guarded him; And after: Research title: Prayer and its impact on the Muslim.Department: Islamic Dawah and Culture Department, Islamic Culture Department, and I divided my research into the following:Preface, in which the definition of the title of the research.The first topic: the importance of prayer.The second topic: the faith effect of the obligation of prayer.The third topic: the psychological impact of the obligatory prayer.The fourth topic: the social impact of the obligatory prayer.The conclusion, which includes the most prominent results and recommendations. Among the most prominent results:1- Prayer is the second pillar of Islam, and it is the pillar of religion.2- Prayer is one of the major differences between faith and non-belief.3- Prayer achieves an increase in faith and raises it. For what it contains of the meanings of faith, and for what it contains of recitation and remembrance.Among the most important recommendations:1- Everyone should create specialized centers that research the effects of this great obligation on the individual and society.2- One of the things that should be taken care of at the level of institutions is to raise awareness of young people about the importance of being keen to pray in mosques; In order for them to develop in behaviors, acquire virtuous morals and renounce everything else, through the blessed environment in mosques.

Keywords: prayer, impact, Muslim.

[2]Assistant Professor in the Department of Da`wah and Islamic Culture, College of Da`wah and Fundamentals of Religion - Umm Al-Qura University . amaqil@uqu.edu.sa

المقدمة:

الحمد لله الذي خلق فسوَّى، وقدَّر فهَدَى، وأخرج المرعى فجعله غُثَاءً أَحْوَى، والصلاةُ والسلام على الهادي البشير والسراجِ المنير، خيرِ مَن صلَّى وصام وحجَّ بالبيت الحرام، وعلى آله الطيّبين الأطهار، ومَن سار واقتفى إلى يوم القرار، وسلِّم تسليمًا كثيرًا؛ أمَّا بعدُ:

فإنَّ دين الإسلام دينٌ عظيم، شَمِلَ جميعَ مناحي الحياة، وشَمِلَ علاقة الفردِ مع ربِّه جلَّ وعَلَا، وعلاقة الفرد مع الناسِ؛ فنظَّم هذه العلاقةَ وجعَلَها متَّصِلةً لا تنقطع، وهي بمثابة الصِّلةِ الدَّائمةِ مع خالق هذا الكونِ ومُدَبِّرِه سبحانه وتعالى، وأقوى صِلَةٍ بين العبد وربِّه هي الصلاة، فهي النُّور المُبِين والصراطُ المستقم، مَن حافَظَ عليها عَزَّ وفاز، ومَن ضلَّ عنها خاب وخار؛

وهذا البحثُ يُسلِّط الضوءَ على هذه الشَّعِيرةِ والفريضةِ السماوية العظيمة.

أهمية البحث:

إن موضوع الصلاة لهو من الأهمية بمكان؛ لأنها أعظم فريضة في الكون افترضها الله تعالى وفُرضت في السماء زيادةً لأمر تعظيمها وعلو مكانتها في الدين، وللصلاة آثارٌ عظيمة في الفرد؛ في إيمانه وحياته الخاصة والحياة الاجتماعية، وهذا يبرز أهمية الموضوع وأثرَه البالغ في الفرد والمجتمع.

أهداف البحث:

1- بيان أهمية فريضة الصلاة، وأنَّها فُرضت في السماء.

2- بيان الأثر الإيماني لفريضة الزكاة.

3- تبيين مدى الأثرِ النَّفْسِي لفريضة الصلاة، وما تفعله من إصلاحٍ للمشكلات النفسيَّة.

4- إبراز الدور الإصلاحي للصلاة في معالجة مشكلات المجتمع.

منهج البحث :

انتهجتُ في البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي؛ وذلك بتتبُّع ما يتعلق بأهمية الصلاة في القرآن الكريم والسنة النبوية وأقوال السلف الصالح، واعتمدتُ على كتب التفسير؛ لتفسير الآيات، وكتب الصحاح والسنن، وكتب شروح الأحاديث، ثم الكتب التي تحدثت عن الصلاة بصفة خاصة، مع الالتزام بقواعد الضبط والتوثيق العلمي من حيث:

1- عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

2- تخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصلية.

3- التركيز على موضوع البحث وتجنب الاستطراد، إلا ما كان له صلة تخدم موضوع البحث.

الدراسات السابقة:

لم أقف –حسب علمي– على بحث تكلم عن نفس العنوان وتناوله من هذا الوجه، إنما غالب البحوث تكلمت في عظم أمر الصلاة، وفي جوانبها المتعددة من الحِكَم والأحكام المتعلقة بها، وهي كثيرة جدًّا، لكني في هذا البحث تكلمتُ عن قضية الآثار للصلاة في المسلم؛ وفصَّلت ذلك: في الأثر الإيماني، والأثر النفسي، والأثر الاجتماعي.

وقد قسمت بحثي للتمهيد، وفيه التعريف بمصطلحات البحث، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: أهمية الصلاة.

المبحث الثاني: الأثر الإيماني لفريضة الصلاة.

المبحث الثالث: الأثر النفسي لفريضة الصلاة.

المبحث الرابع: الأثر الاجتماعي لفريضة الصلاة.

الخاتمة، وفيها أبرز النتائج والتوصيات

ونسأل الله التوفيق والسداد والهدى والرشاد

التمهيد

التعريف بعناون البحث:

الصلاة:

الصلاةُ لغةً: هي عبادةٌ مخصوصةٌ، وأصلُها الدعاء، وقيل: التعظيمُ، وسميت الصلاة المخصوصة صلاةً لِمَا فيها من تعظيم الربِّ عزَّ وعلا[3].

وفي هذه التعاريفِ الغُنية في اللغة؛ لأنَّها احتوت على المعاني الشاملةِ للصلاة لغةً، فشَمِلَت الدعاءَ، والتعظيم.

الصلاة اصطلاحًا:

هي أركانٌ محدَّدة، وأذكارٌ معروفة بشروطٍ خاصَّة محصورة، وفيها التعظيمُ للنبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، وقيل في آية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ (الأحزاب:56). وقالوا: الصلاةُ مِن الله عزَّ وجلَّ: الرحمة، ومن الملائكة: الاستغفار، ومن المؤمنين: الدعاء[4].

وهذا التعريفُ حوى وجَمَعَ أطرافَ التعريفِ؛ حيث إنَّه دلَّ على عُمقِ التعريفِ في احتواء الصلاة على أركانٍ محدَّدةٍ، وشروطٍ واضحة، وأذكارٍ وأورادٍ خاصَّةٍ في أحوالٍ معلومة.

تعريف الأثر:

الأثر لغةً: بقيَّةُ الشيء، وما بَقِيَ من رسمه وصفته، وجمعُه: آثار، ومنه: أَثَّرَ في الشيء؛ أي: تَرَكَ له أَثَرًا، ومنه: أُثْرَةُ العِلمِ: لروايته وذِكره[5].

الأَثَر اصطلاحًا: هو نتيجةُ الشيء الحاصلِ وأَثَرُه، وهو علامة على المقصود وحاصله، وما يدلُّ على حدوثه ووجوده[6].

وفي نفس هذا المعنى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ ١٢﴾ (يس:12).

---

[3] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج14، ص466، والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص1303.

[4] ينظر: البركتي، محمد عميم، **التعريفات الفقهية**، ص129.

[5] ينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ج4، ص5، والفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، ص341.

[6] ينظر: الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، ص9، و البركتي، محمد عميم، **التعريفات الفقهية**، ص 16، وعبد المنعم، محمود عبد الرحمن، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية، ج1، ص57.

وهذه الكلمة في هذه الآيةِ الكريمةِ، تفيد جملةً من المعاني؛ فهي الآثار التي قدَّمُوها حالَ حياتِهم من خيرٍ أو شَرٍّ، وما سنوه وتركوا أثرَه للناس؛ إمَّا خيرًا، وإمَّا شرًّا، فآثارُ المرءِ هي ما تبقى وتمكث بعد موتِه، وهذه المعاني تتَّسقُ تمامًا مع المعنى اللُّغوي في الأثر، وما يُترَك ويبقي على الأشياء، وعلى حاصل العمل ونتيجته[7].

وبهذه التعريفاتِ اللُّغويَّة والاصطلاحيَّة، يتَّضح لنا أنَّ الأثَرَ عنوانٌ واضح في إبقاء الأمرِ على سلفِه وعهدِه، وهذا يدلُّ على عُمقِ الأثَر وإبقائه للمعنى الأول، وتجدُّدِه فيه؛ فالأثَرُ لا يزول وإنَّما يتجدَّدُ كلَّما حصل المقصودُ الأوَّلُ؛ فمثلًا: كلَّما صلَّى الإنسانُ كلَّما تجدَّدت معه الآثارُ وزادت، وظهرت نتائجُها واضحةً بيِّنةً مشاهَدةً للعِيَان كالشَّمس في رابعةِ النَّهارِ.

[7] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان**، ج20، ص497، والقرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ج15، ص12، والرازي، محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، ج26، ص258، والبغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، ج7، ص9.

المبحث الأول: أهميَّة الصَّلاة

إنَّ الصلاة فرضٌ عظيمٌ وجليلٌ عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وأهميَّةُ الصلاةِ أمرٌ معلومٌ بالضرورة؛ لجملة الآيات الكريمة والأحاديث النبويّة –على صاحبها أفضلُ الصلاة وأتمُّ السلام– الواردة فيها ، وقبلَ الشروعِ في ذلك، لا بد أن نشير إلى أن الصلاة هي الفريضة الوحيدة التي فُرضت في السماءِ، وهذا يدلُّ على مَزِيَّتِها واختصاصها بجملةٍ من الفضائل والمحاسن؛ بل لا توجد عبادةٌ فيها تذكيرٌ دائم ونداء مستمر إلَّا الصلاةَ؛ فنداءاتُها كلَّ يومٍ وليلة، ففي قوله تعالى: ﴿أَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾ (الجمعة: 9).

وقوة النداء وعمق تأثيره، مؤثر في الدنيا والكون كلِّه، فالنداءُ شَحْذٌ للنُّفُوس المؤمنةِ للإسراع لأداء هذه الفريضة، وعدم التواني والكسل عن أدائها؛ والتذكيرُ المستمر بالنِّداء خمسَ مرَّاتٍ، والإقامةُ كذلك، يدلُّ على أهميَّتِها وعظيمِ شأنِها.

والقرآنُ مليءٌ بالآيات التي تبيّن وتؤكّد فضلَ هذه الشَّعيرةِ الدِّينيَّة الأساسيَّة في كثيرٍ من الآيِ العظيمةِ، ومن ذلكم قولُه تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ (البقرة:238).

هذه الآيةُ الأمرُ فيها صريحٌ بالمحافظة على الصلاة، والأمر باستدامة ذلك. وجاء الأمرُ بصيغة الجمع وليس المفرد؛ حتى تؤكّدَ على قضيّةِ الجماعةِ، والإقامة الشاملةِ في المساجد والجوامع،

والمحافظة والمواظبة عليها في مواقيتها، وإتمام شروطها وحدودها. والمحافظة على الشيء: المداومةُ عليه، وعدمُ تركِه البتَّةَ[8]. يقول الإمام المروزي رحمه الله في شان أهمية الصلاة وعظمتها: "فلا نعمةَ أعظمُ على المؤمنين بالله من نعمة الإيمان، والخضوع لربوبيَّتِه، ثم النعمة الأخرى ما افترض عليهم من الصلاة خضوعًا لجلاله، وخشوعًا لعَظَمَتِه، وتواضعًا لكبريائه، ولم يفترض عليهم بعد توحيدِه، والتصديق برُسُلِه، وما جاء من عنده فريضةً أولَ مِن الصلاة، وأخبر أنَّ ذلك أمرُه لهم، وللأنبياء والأُمَمِ قبلَ أن يَبعث محمدًا صلى الله عليه وسلم. آياتٌ دالَّة على أنَّ الصلاة كانت فريضةً على الأنبياء؛ فقال عزَّ وجلَّ: ﴿لَمۡ يَكُنِ

[8] ينظر: البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، ج1، ص322، والقرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ج3، ص208.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ١ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ٣ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ٤﴾ (البينة: 1-4)"[9].

ومن الآياتِ العظيمةِ في هذا المقامِ، والمؤكِّدة على الأمر بالمحافظة عليها في أوقاتها المخصوصة وعدم التفريط والتَّرْكِ لها، قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾ (النساء: 103).

وهذا يدلُّ على التوقيت الدقيق لوقت الصلاةِ، وعدم تركِه، وعدم التهاونِ والتَّكاسُلِ في أدائها في وقتها المؤقَّت والمحدَّد، دونَ تأخيرٍ أو تَقَاعُسٍ أو تكاسل، وهي واجبةٌ في أوقاتٍ معلومةٍ، وهو محدود واجب الأداء لكلِّ المكلَّفين[10].

وهذا جزء من الآيات يدلُّ ويوضِّح أهميَّة هذا الركنِ العظيمِ في الدين، ولِمَرءٍ أن يتخيَّل الأمرَ الملزِمَ بالصلاة حالَ المرضِ، وحالَ الخوفِ، وحالَ القتال؛ مما يؤكِّد أهميَّةَ هذا الأمرِ في باب الدين، وعدم تركِه لأيِّ ظرفٍ كان، والآياتُ واضحةُ الدلالةِ في ذلك؛ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَقۡصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمۡ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ١٠١ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡۖ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِن كَانَ بِكُمۡ أَذٗى مِّن مَّطَرٍ أَوۡ كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسۡلِحَتَكُمۡۖ وَخُذُواْ حِذۡرَكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٠٢ فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾ (النساء: 101-103).

هذه الآيةُ العظيمةُ الكريمة، جالت بالمعاني في كلِّ الأفانين لكلِّ الأزهار، أخذت كلَّ الجمال وصورتَه في هذه المعاني البديعة، ولو تأمَّلْنا التأكيدَ القرآني على هذه الأوصافِ الدقيقةِ والوصف التفصيلي للأمر، لَوجدنا عجبًا عُجابًا، وهنا جملةُ مسائلَ، منها: قضية القَصْر في الصلاة حالَ السفر، وهذا فيه تخفيفٌ للمسلمين ومراعاةٌ لحال المشقَّة في السفر، وما يحصل به من العَنَتِ والجهد، وهنا تتجلَّى الرحمةُ الإلهيَّة، واليُسر الرَّبَّاني الذي هو من أُسُسِ الشريعة، أنَّها بُنيت على التيسير، وأنَّ "المشقة تجلبُ التيسير"[11] كما هو مقرَّرٌ في كتب القواعد الفقهيَّة.

---

[9] المروزي، محمد بن نصر، **تعظيم قدر الصلاة**، ج1، ص85.

[10] ينظر: أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، ج4، ص54، والنخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية**، ج1، ص166.

[11] ينظر للاستزادة: السبكي، تاج الدين بن عبد لوهاب، **الأشباه والنظائر**، ج1، ص49، والزركشي، محمد بن عبد لله، **المنثور في القواعد الفقهية**، ج3، ص169.

ثم يأتي الوصف الدقيقُ المحدَّدُ في كيفية صلاة الخوفِ، وطريقتها وأشكالها وصفاتها، مما يوضِّح عُمقَ التأثيرِ القرآني لهذه الفريضةِ السماوية؛ فالتفصيلُ القرآني لصلاة الخوفِ يدلُّ دلالةً واضحةً على جملةٍ من القضايا، منها أهميَّةُ الصلاةِ في كلِّ حالٍ، حتى في أحوال القتال والخوف والرهبة؛ ويدخل في هذا أهميَّةُ صلاةِ الجماعة، وعلوُّ كعبِها في الدين؛ حيث إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم صلَّى بأصحابه رضي الله عنهم وهم في حالٍ مَخُوفَة مُرهِبَة خطيرة، ومع ذلك لم يترك الجماعةَ بأبي هو وأُمِّي، عليه الصلاة والسلام[12].

ومن القضايا المتعلِّقةِ بهذا الأمر، حِرصُ الشريعةِ على مراعاة الجوانب الأخرى، من إسقاط بعضِ الأحكامِ لأجل الضرورات، فقصرت صلاة الخوف وصلَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم بالصحابة رضي الله عنهم، بصفةٍ مخصوصةٍ غيرِ معروفة، وصارت تشريعًا إلى أن يَرِثَ الله الأرضَ ومَن عليها.

ومن القضايا المتعلِّقةِ بها أيضًا، أهميَّة بذلِ السببِ مع عُمقِ وصِدقِ التوكُّلِ على المسبِّب، وهو الله سبحانه وتعالى؛ فالأمرُ القرآني واضحٌ بأَخْذِ السلاح والحيطة والحذر، والاستعداد لمجابهة العدوِّ بالعدَّة والعَتَاد.

ومن القضايا المتعلِّقة بها، خطورةُ العدوِّ، ومعرفة مسالكه وطُرُقِه الخبيثة؛ فهم يستغلون أيَّ فرصةٍ للانقضاض على المسلمين واستئصال شَأْفَتِهم؛ وهذا مَكرُهم الدَّؤُوبُ منذ قِدَمِ الزَّمانِ والعالَم، مما يوجِبُ على المسلمين أفرادًا وجماعاتٍ أَخْذَ الحيطةِ والحذرِ من أعداء المِلَّةِ والدِّينِ، وعدم الغفلةِ عن مَكْرِهم وخُبْثِهم وشَرِّهم.

ومن القضايا المتعلِّقة أيضًا، أنَّه متى ما عاد الأمرُ إلى أصله وعادت المياه لمجاريها، فالأحكامُ تعود كما كانت، وهذا إن دلَّ فإنما يدلُّ على يُسرِ الشريعةِ وصلاحيتها لكلِّ الأزمنة والأمكنةِ، وقدرتها على استيعاب الأحداثِ والقضايا المختلفةِ، والمتجدِّدة والمتغيِّرة .

هذا، وقد جاء الوصفُ الدقيق لكيفيَّة الصلاة في حال الخوف في السُّنة المطهرة؛ فقد قال البخاري في صحيحه: حدَّثَنا أبو اليَمَان، قال: أخبرنا شُعيب، عن الزهري، قال: سألته هل صلَّى النبيُّ صلى الله عليه وسلم؟ -يعني صلاةَ الخوف- قال: أخبرني سالم، أنَّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: غزوتُ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَلَ نجد، فوازَيْنا العدوَّ، فصافَفْنا لهم، «فقام رسول الله صلى الله

---

[12] ينظر للاستزادة: القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد، **محاسن التأويل**، ج3، ص303، وابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج5، ص186، ورشيد رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير المنار**، ج5، ص296، والألوسي، محمود بن عبد الله، روح المعاني، ج4، ص211.

عليه وسلم يصلّي لنا، فقامت طائفةٌ معه تصلّي وأقبلت طائفة على العدو، وركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بمن معه وسجد سجدتين، ثم انصرفوا مكانَ الطائفةِ التي لم تُصَلِّ، فجاءوا، فركع رسولُ الله صلى الله عليه وسلم بهم ركعةً وسجد سجدتين، ثم سلَّم، فقام كلُّ واحدٍ منهم، فركع لنفسه ركعةً وسجد سجدتين»[13].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «صلَّى رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوفِ بإحدى الطائفتين ركعةً، والطائفةُ الأخرى مواجهةٌ العدوَّ، ثم انصرفوا وقاموا في مقام أصحابهم مُقبِلين على العدوِّ، وجاء أولئك ثم صلَّى بهم النبي صلى الله عليه وسلم ركعة، ثم سلَّم النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قضى هؤلاء ركعة، وهؤلاء ركعة»[14].

ورواية أخرى تؤكد معنًى آخَر:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «صلَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاةَ الخوفِ في بعض أيامه، فقامت طائفةٌ معه وطائفة بإزاء العدوِّ، فصلى بالذين معه ركعة، ثم ذهبوا وجاء الآخَرون، فصلى بهم ركعة، ثم قضت الطائفتان ركعة ركعة»، قال: وقال ابنُ عمر: «فإذا كان خوفٌ أكثرَ من ذلك، فصَلِّ راكبًا، أو قائمًا تُومِئُ إيماءً»[15].

إنَّ هذه الأحاديث النبوية الشريفة، تُجلي لنا الاهتمامَ الإسلامي الكبير بشأن الصلاة، ومدى الدِّقَّة الكبرى في مسائل وجوب الصلاة في كل الأزمنة والأمكنة، والظروف والأحوال المختلفة والمتفرِّقة، وفي هذه الأحاديثُ تفصيلٌ دقيق للحالات المختلفة في حال القتال ودرجات الخوف المحتَمَلة، وحال الْتِحَامِ الصفوفِ، فتتعذَّر الصلاةُ مع الجماعة، ويُصلِّي المرءُ راجلًا أو راكبًا، مما يعطي إشاراتٍ واضحةً لعظيم قَدْرِ الصلاة في الشريعة الغَرَّاء، وأنَّها تغلب جانبَ الصلاة على كل الجوانب والأحوال المختلفة، فإذا كان هذا الاهتمام الإسلامي البالغ بشأن هذه الفريضة الجليلة في حال الخوف والقتال والتحام الصفوف، فإنَّها في باب الأمن والسِّلم والرَّخاء أكثرُ تأكيدًا وحِرصًا، ورغبةً وشوقا وخضوعًا وخشوعًا؛ ففي حال الأمن والطمأنينة تُقام الصلاة قيامًا كاملًا على أتمِّ الوجوهِ وأكمَلِها وأحسنِها وأفضلِها.

والناظرُ في الآية الكريمة يلحظ هذا المعنى باديًا ظاهرًا: ﴿فَإِذَا ٱطۡمَأۡنَنتُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ﴾ (النساء: 103)، والفاءُ هنا للتعقيب، وهذا يؤكِّدُ حِرصَ الإسلام على إتمام هذه الشَّعيرةِ، وأنها في حياة المسلم ركنٌ تامٌّ وركيزة أساسية من ركائز حياته. ولو نظرنا في أحكام الصلاة وما يتعلق بها، لَطال بنا المقامُ وجال

---

[13] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، أبواب صلاة الخوف، رقم 942، ج2، ص14.

[14] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، رقم (839)، ج1، ص574.

[15] **المصدر نفسه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الخوف، رقم (839)، ج1، ص574.

بنا الحديث في الحدائق الغَنَّاء والأفانينِ الجميلة، التي تزهو وتُورِقُ بأحكام الصلاة، وما فيها من الأحكام الدَّقيقةِ والتَّفصيليَّة[16].

وتبرز أهميَّةُ الصلاةِ بالاهتمام الربَّاني بها، مِن لَدُنْ جَعلِها من شرائع الأنبياء الكِرام عليهم السلام؛ فقد ذكر القرآنُ الكريم جملةً من أخبارهم مع الصلاة، يقول الحق تبارك وتعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ٨٣﴾ (البقرة:83)، وهنا يلحظ أخذ الميثاق على بني إسرائيل بالعبادة وإقامة الصلاة، وهذا يدلُّ عى أهمية الصلاة في كل الشرائع.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٨٧﴾ (يونس: 87). وهذه الآيةُ تدلُّ على عِظَم وأهميَّة الصلاة، حتى في حال الخوفِ، جُعلت البيوتُ مساجدَ كي يصلي المسلمون ولا يدعوا الصلاة[17].

ويقول الحقُّ جلَّ في علاه: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧﴾ (إبراهيم:37)، ويقول تعالى: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ٤٠﴾ (إبراهيم:40). إنَّ قصة الخليل إبراهيم عليه السلام في شأن الصلاة، عجيبة؛ حيث ترك عليه السلام زوجَه وولدَه بالوادي القَفْر، مكة؛ حتى يؤسِّسَ البيتَ العَتِيقَ، ويعمر بعد ذلك، إلى أن يرثَ الله الأرضَ ومَن عليها.

هذه العناية الربانية ، والإذن الإلهي الكبير لبناء البيت في هذه البقعة المباركة، ثم النداء الشامل لكلِّ أُمَمِ الأرضِ بالحجِّ والصلاة للبيت العتيق، لَتؤَكِّدُ بوضوحٍ أشد من النهار، عِظَمَ قدرِ الصلاةِ في شأن الدين، وأنَّها مِن أَوْلى الأولويَّات في الشريعة السَّمْحَة الغرَّاء، ثم يؤكِّدُ الخليل مدى ارتباطِه الرُّوحي الكامل بهذه الفريضةِ العظيمةِ، ويسأل ربَّه أن يجعلَه مُقيمًا لهذه الصلاة هو وذريَّتُه من بعدِه، في بُعدٍ رُوحي عميق تجسَّدَ شعورُه في قلب الخليل وفؤادِه الغَضِّ بالوحي، إنه شهود كبير على عمق الصلاةِ في نفس هذا

---

[16] ينظر للاستزادة: المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج، **تعظيم قدر الصلاة**، وابن دكين، الفضل بن عمرو بن حماد، **الصلاة**، والمقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، **أخبار الصلاة**.

[17] ينظر: الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان**، ج15، ص172.

النبيِّ الكريم وإرادته عليه السلام أن يكون الشعور ذاتُه متجسِّدًا في الذَّرَاري التي ستأتي بعدَه عليه الصلاة والسلام.

ويقول تعالى: ﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ٥٥﴾ (مريم:55)، وهذه الآية الكريمة تُشير إلى مدى حرصِ الأنبياء عليهم السلام على الصلاة، وأَمْرِ الأهل بها والسؤالِ الدَّائمِ عنها. وهنا ثناء القرآن على هذا النبيِّ الكريم؛ لقيامه بهذا الأمر الكبير، وهو البداءة بالأهل في الإصلاح، والسعي الحثيث لإرشادهم هم والأُمَّة جمعاء[18].

ويقول تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ (طه: 14)، ويقول تبارك وتعالى: ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ ٧٣﴾ (الأنبياء: 73). إنَّ ذِكرَ الصلاة بعد فِعل الخيراتِ، يدلُّ على تخصيصٍ مهمٍّ ودقيقٍ، وعطفٍ للخاص على العام؛ لأنَّ الصلاة فيها إصلاحٌ شامل للإنسان، وهذا يدل على عِظَمِها وكبيرِ شأنِها عند الله سبحانه وتعالى[19].

ويقول تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ (لقمان: 17). لقمانُ الحكيم يوصي ابنَه بأمر الصلاة؛ لعِظَم أهميَّتِها، ولأنَّ بإقامتها تزدانُ حياةُ المرءِ وتصلح جميع شؤونه، وهذه وصيَّة للمرء بإقامة الصلاة، ثم بأن يُوصِيَ ذريتَه بإقامتها والحرصِ على أدائها، وعدم التهاون والتكاسل عنها البتَّةَ؛ لأنها من الأمور الواجبة[20].

هذا العرضُ لهذه الآيات الكريمة، ليس في شأن فضلِ الصلاةِ فحسبُ، وإنما في تعامل الأنبياء عليهم السلام مع أقوامِهم وأبنائهم وذَرَارِيهِم في شأن هذه الفريضةِ العظيمة، فمن الاهتمامِ الربَّاني الكبير بشأن الصلاة، أنْ جَعَلَها من ضمن شرائع كلِّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإنما تختلف في طريقة أدائها، ولكن مفهومها ومعناها واحد وواضح. ولو نظرنا نظرةً فاحصة في الآيات القرآنية التي تشير إشاراتٍ عدَّةً لأمر الصلاة، وجعلها أساسًا في الإيمان وعنوانًا على الهداية والصلاة، وتركُها دلالة واضحة على الخروج عن الهدى، وسلوكِ طُرُق وسُبل الغواية والضلال. يقول الحق تبارك وتعالى في شأن أهمية الصلاة، وأنها أساس في الدين: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾ (التوبة: 5). إنَّ تعلُّقَ دخولِ المشركين في الدين وعلامة ذلك بإقامة الصلاة، توضّح مدى عنايةِ الإسلام

---

[18] ينظر: الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج21، ص550.

[19] ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر، **التحرير والتنوير**، ج17، ص111.

[20] ينظر: الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج3، ص399.

بشأن الصلاة، وأنها مرتكز أساس في الإيمان، وعلامةٌ واضحةٌ صريحة في الدخول في هذا الدين، والاستسلام لشرائعه التي مِن آكَدِها إقامةُ الصلاة، وبذلك يخلَّى سبيلُهم ويدخلون ضمن حياض الإسلام[21].

ويقول الحقُّ تبارك وتعالى مؤَكِّدًا معنى شرط إقامة الصلاة: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ وَنُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ١١﴾ (التوبة:11). هذه الآيةُ توضِّح هذا المعنى وتجليه، على أنَّ مِن شروط التوبة والرجوع للإسلام، إقامةَ الصلاة؛ لأنَّها ظاهرة في الدخول في الإسلام، وليس فقط مجرد القول اللساني[22].

ويقول تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩﴾ (مريم: 59). إنَّ هذه الآية شديدةُ التقريع والتوبيخ لمُضَيِّعي الصلاة، فهي تتوعدهم بالعقاب الأليم، وهو نار جهنم وأوديتُها السَّحِيقة[23]، والعياذ بالله! وهنا اقتران خطير لإضاعة الصلاة واتباع الشهوات؛ لأنَّ الصلاة تَنْهَى عن الفحشاء والمنكر، وإضاعتُها جالبةٌ للفحشاء والمنكر والشهوات، والعياذ بالله! فقطعُ الضالِّ حبلَ صلتِه بالله، بتَرْكِ الصلاة وإضاعتِها، فَتَحَ له سبيلَ الوصالِ مع الشياطين وأهل الغواية.

وإذا انتقلنا من الآيِ القرآنيَّةِ الكريمة في شأن الصلاة ومدى أهميتها، إلى السنة النبوية الشريفة المطهَّرة – على صاحبها أفضلُ الصلاة وأتم السلام– لوجدنا حقولَ وردٍ من الذهب والألماس ولَأمتَعْنا أبصارَنا بالجلال والجمال في هذه الأحاديث النبوية الكريمة، ومن أوائله في هذا الصَّدَد والمقامِ، حديثُ فرضِ الصلاة في حادثة الإسراء والمعراج؛ لأنَّها فُرضت في السماء، دلالةً على أهميتها وعظيمِ شأنِها عندَ اللهِ عزَّ وجلَّ.

وفي روايةٍ لمسلم، عن أنس بن مالك، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ثم ذهب بي إلى سِدرة المنتهى، وإذا ورقُها كآذان الفِيَلَةِ، وإذا ثمرُها كالقِلَال))، قال: ((فلمَّا غَشِيَها من أمر الله ما غشيَ، تغيَّرت، فما أحدٌ مِن خلقِ الله يستطيع أن يَنْعَتَها مِن حُسنِها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاةً في كل يومٍ وليلة، فنزلتُ إلى موسى صلى الله عليه وسلم، فقال: ما فَرَضَ ربُّك على أُمَّتِك؟ قلت: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربِّك فاسأله التخفيفَ، فإنَّ أُمَّتَك لا يُطيقون ذلك، فإنِّي قد بلوتُ بني إسرائيلَ وخَبَرْتُهُم))، قال: ((فرجعتُ إلى ربي، فقلت: يا رب، خفِّف على أُمَّتي، فحَطَّ

---

[21] ينظر: الجصاص، أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، ج4، ص273.

[22] الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني**، ج5، ص246، وينظر للاستزادة: ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **الصلاة وأحكام تاركها**.

[23] ينظر: مكي بن أبي طالب حموش بن محمد، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، ج7، ص4562.

عنّي خمسًا، فرجعتُ إلى موسى، فقلت: حَطَّ عني خمسًا، قال: إنَّ أُمَّتَك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف))، قال: ((فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى، وبين موسى عليه السلام حتى قال: يا محمد، إنهنَّ خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلة، لكلِّ صلاةٍ عشرٌ، فذلك خمسون صلاة، ومَن هَمَّ بحسنةٍ فلم يعملها، كُتِبت له حسنة، فإن عَمِلَها كُتبت له عشرًا، ومَن هَمَّ بسيئة فلم يعملها لم تُكتب شيئًا، فإن عَمِلَها كُتبت سيئةً واحدة))، قال: ((فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى صلى الله عليه وسلم، فأخبرته، فقال: ارجع إلى ربّك فاسأله التخفيف))، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه))[24].

وهذا الحديثُ العظيم يدلُّ على أهمية الصلاة، وتشاورهم في أمرها في عِلّيين، وهذه خصوصية جليلة بهذه الفريضة المعظَّمة.

وفي هذا الحديث من الجمال ما تتغنَّى به الحدائقُ، فمِن ذلك معرفةُ الأنبياء بأحوال الأُمَم، ومدى استقبالهم للأحكام وقدرتهم على تنفيذها والديمومة عليها، وهذا يتَّضح جليًّا من إصرار النبي الكريم الكليم موسى عليه السلام أن يراجع المصطفى عليه الصلاة والسلام ربَّه في التخفيف على هذه الأُمَّةِ، فهي في حقيقة الأمر لا تستطيع هذا العدد الكبير، وفيه بيانُ مدى وسعِ الرحمة الإلهيَّةِ من الله تبارك وتعالى للبشر، بوضع العدد وتخفيفه، وليس هذا فحسبُ؛ بل الأجر على العدد الأول الخمسين، وهذا من كمال العفو الإلهي، ومدى الكرم الرباني لهذه الأمة المرحومة.

وهذه الديباجة تدل دلالةً عميقةً على فَهْمِ موسى عليه السلام لحال الأُمَم؛ فقد خبر بني إسرائيل، والأُمَم والشعوبُ فيها قدرٌ كبير من التقارب الحياتي والمعيشي، في قدراتها وطاقاتها، وما تحب وما تكره، وما هو يسير لها وما هو عَسِرٌ عليها.

وفي هذا الحديث أيضًا يتبين مدى الشفقة الإلهية والرحمة الربانية بالأُمَّة، فيمَن هَمَّ بحسنةٍ ولم يعملها، فمِن كَرَمِ اللهِ أن يجعلها له حسنةً تامَّة، ولو أنه عَمِلَها، كُتبت عشرًا وتُضاعف عند الرَّبِّ الكريم. أمَّا حسابُ السيئات؛ فهو حساب يختلف عن حساب المضاعفة، فإنْ هَمَّ ولم يعمل، لم تُكتَب شيئًا، وإن عَمِلَ كُتبت سيئةً واحدة. إنَّ التعامل في شأن العبادة مع الله، تعاملٌ مبني على الكرم والجود الإلهي، وفي شأن العصيان التعاملُ بالعدل وعدم الظلم، والعفو والصفح والمغفرة.

والأحاديث في شأن أهميَّة الصلاة كثيرة متنوعة ، ومن ذلك:

---

[24] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم 162، ج1، ص146.

ما روى البخاري قال: حدَّثَنا إسماعيل، قال: حدَّثَني مالك بن أنس، عن عمِّه أبي سُهيل بن مالك، عن أبيه، أنه سمع طلحة بن عبيد الله، يقول: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد، ثائرَ الرأسِ، يُسمَع دويُّ صوتِه ولا يفقه ما يقول، حتى دنا، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس صلوات في اليوم والليلة». فقال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: «لا، إلَّا أن تطوع». قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وصيام رمضان». قال: هل عليَّ غيره؟ قال: «لا، إلا أن تطوع». قال: وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، قال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: «لا، إلَّا أن تطوع». قال: فأدبر الرجل وهو يقول: واللهِ، لا أَزِيدُ على هذا ولا أنقص. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَفلَحَ إنْ صَدَقَ»[25].

هذا الحديث العظيمُ يدلُّ على أهميَّة الصلاة، وأنها نجاةٌ للعبد من العذاب في الآخرة؛ فإقامتُها عصمةٌ ونجاة ودلالة على الرغبة في الخير؛ فهذا الصحابي حينما سأل عن آكَدِ وأعظمِ شرائعِ الإسلام، كان توجيه النبي الكريم عليه الصلاة والسلام في أمر الصلاة، مما يدلُّ على أهميَّتِها وعلوِّ شأنها في الدين.

قال ابنُ حجر رحمه الله: "أو القصد من القصة: بيانُ أنَّ المتمسِّكَ بالفرائض ناجٍ، وإن لم يفعل النوافلَ)[26].

هذه النجاةُ بسبب الديمومةِ على هذه الفريضة العظيمةِ.

يقول الإمامُ الجُوَيْني رحمه الله في شأن الصلاة: "هذا كتابٌ عظيم الموقع في الشرع، لم يتشعَّب أصلٌ في التكاليف تشعُّبَه، ولم يتهذَّب بالمباحث قطبٌ من أقطاب الدين تُهَذِّبُه، والسببُ فيه أنَّه من أعظم شعائر الإسلام، والناس على تاراتهم وتبايُن طبقاتِهم مواظبون على إقامةِ وظائفِ الصلوات، مُثابِرُون على رعاية الأوقات، باحثون عمَّا يتعلَّق بها من الشرائط والأركان والهيئات. فهي لذلك لا تندرس على مَرِّ الدهور، ولا يُمحَق ذِكرُ أصولِها عن الصدور"[27].

والحقُّ أنَّ شأنها عظيمٌ، وخَطْبَها جليلٌ على كافَّةِ الأحوال والمدارك، ولو عَدَدْنا جملةَ فؤائدِها وبحرَ كنوزِها، لَطالَ المقامُ، ولعجزنا عن إدراك عظيمِ أمرِها وسابقِ فضلِها؛ بل إنَّ الصلاة تُكفِّر جملةً من الذنوب والخطايا والآثام، وهذا يدل على أهميتها وفضلِها، ومن ذلكم:

---

[25] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الإيمان، باب الزكاة من الإسلام، رقم 46، ج1، ص18.

[26] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري**، ج1، ص107.

[27] الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، **غياث الأمم في التياث الظلم**، ص467- 468.

عن أبي هريرة، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أرأيتم لو أنَّ نهرًا بباب أحدِكم يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمسًا، ما تقول ذلك يُبقي من دَرَنِه؟)) قالوا: لا يُبقي مِن دَرَنِه شيئًا، قال: «فذلك مثلُ الصلواتِ الخمس؛ يمحو الله به الخطايا»[28].

الصلوات الخمسُ هي النهر الجاري الذي يغسل الأوساخَ والأدران من المعاصي المقترَفة في اليوم والليلة، وهذه المعاصي متجدِّدةٌ، فكانت الصلاةُ متجدِّدةَ المغفرةِ والعفوِ والصَّفْحِ، هذا المثال العظيم الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم، يدل دلالةً صريحة على عُمق تأثيرِ الصلاة في الإيمان، وأنَّها سببٌ لمحوِ جملةٍ من الذنوب والخطايا.

يقول ابن رجب الحنبلي رحمه الله: "هذا مثلٌ ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لمحوِ الخطايا بالصلوات الخمس، فجعل مَثَلَ ذلك مثل مَن ببابه نهرٌ يغتسل فيه كلَّ يومٍ خمسَ مِرَارٍ، كما أنَّ دَرَنَه ووسخه يُنَقِّى بذلك حتى لا يبقى منه شيء، فكذلك الصلوات الخمس في كل يوم تمحو الذنوبَ والخطايا حتى لا يبقى منها شيء. وتمثيلُه –صلى الله عليه وسلم– بالنهر، هو مبالغة في إنقاء الدَّرَن؛ فإنَّ النهر الجاري يُذهِب الدَّرَنَ الذي غُسل فيه ولا يبقى له فيه أثَرٌ، بخلاف الماء الراكد؛ فإنَّ الدرن الذي غُسل فيه يمكث في الماء، وربما ظهر مع كثرة الاغتسال فيه على طول الزمان"[29].

وإنَّ لفظة النهر وما فيه من تطهير، لفظة دقيقة؛ لأنَّ النهر يجري سريعًا ويتجدَّد ماؤه، بخلاف البِركة والبئر، وهذا يدلُّ على جَرَيَانِ خيرِ الصلاة وبركتها في التغسيل للأدران والذنوب والتطهير المستمر السريع لها؛ إنها الصلاة وبركتُها الممتدَّة إلى كل شيء، ويقول جلَّ وعلا: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝٤٥﴾ (العنكبوت: 45).

يقول صاحب الكشاف: "الصلاةُ تكون لطفًا في ترك المعاصي، فكأنها ناهية عنها. فإن قلت: كم مِن مُصَلٍّ يرتكب ولا تنهاه صلاته؟ قلت: الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب: أن يدخل فيها مقدمًا للتوبة النصوح، متَّقِيًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة: 27)، ويُصَلِّيها خاشعًا بالقلب والجوارح، وقيل: من كان مراعيًا للصلاة، جرَّه ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يومًا ما. وعلى كلِّ حال، إنَّ المُرَاعي للصلاة، لا بُدَّ أن يكون أبعدَ عن الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها. وأيضًا فكم من مُصَلِّين تَنْهَاهُم الصلاةُ عن الفحشاء والمنكر، واللفظ لا يقتضي ألَّا يخرج واحدٌ من المصلِّين عن قضيتها، كما تقول: إن زيدًا ينهى عن المنكر، فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير، وإنما تريد

---

[28] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب موقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، رقم (528)، ج1، ص112.

[29] ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **فتح الباري**، ج4، ص221، ص224.

أنَّ هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلةٌ منه، من غير اقتضاءٍ للعموم، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾، يريد: ولَلصَّلاةُ أكبرُ مِن غيرها من الطاعات، وسمَّاها بذكر الله كما قال: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ (الجمعة: 9)، وإنما قال: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ﴾؛ ليستقلَّ بالتعليل، كأنه قال: ولَلصَّلاةُ أكبرُ؛ لأنها ذِكرُ الله. أو: ولَذكرُ الله عند الفحشاء والمنكر، وذِكرُ نهيِه عنهما ووعيدِه عليهما أكبرُ، فكان أَوْلى بأن يَنهى من اللطف الذي في الصلاة.."[30].

إنَّها الصلاة وما تصحبه من نَهْيٍ عن القبائح والرذائل، وأيُّ مداومٍ على الصلوات سيأتي اليومُ الذي تنهاه صلاتُه عن القبائح؛ لأنَّ الصلاة صِلةٌ بالله الكريم، وفيها دعاءٌ في كل ركعة بالهداية للصراط المستقيم، وفيها خضوعٌ لله مجيبِ الدعاء، وهادي العباد ومُرشِدِهم والرحيم بهم سبحانه وتعالى، وهذا المرءُ المسرِفُ على نفسه بالعصيان، ما دام أنَّ الحبلَ متَّصِلٌ بالله في صلاته، فهذه علامةُ خيرٍ عنه، وبشائرُ مباركة بقُربِ هدايته ودُنُوِّ صلاحِه واستقامته.

ولذا فإن من الجوانب المحفزة والتطبيقية لتبيين أهمية الصلاة ، نشر الوعي في الناس وخاصة في الناشئة بأهمية هذه الفريضة وتبيين مدى أهميتها بالآي القرآني ومدى عظمها ، وأنها فرضت في السماء مما يدل على كبير العناية الربانية بها ، وبيان مدى تعلق النبي صلى الله عليه وسلم بها وأنه متركها بأبي هو وأمي عليه الصلاة والسام حتى في حال الحرب والمرض ،ويبين في هذا الباب عظيم الفضل والأجر الجزيل المترتب لمن حافظ على الصلوات وداوم عليها ، إن غرس هذه المعاني في الناس يثمر في قلوبهم وعقولهم تعظيم أمر الصلاة ومعرفة أهميتها والديمومة عليها وتقديهما على كل شيء.

[30] ينظر: الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ج3، ص456، 457.

المبحث الثاني: الأثر الإيماني للصلاة

إنَّ الصلاة فريضة عظيمة، لها آثارٌ متعدِّدة على الفرد والمجتمع، وهي الصِّلةُ بين العبد وربِّه، ولها أثرٌ كبير على زيادة الإيمان وعلوِّه، ومغفرة الذنوب وستر العيوب، كما أنها تجمع بين عبادات كثيرة، ويبلغ المرءُ بصَلاته المنازلَ العاليةَ، وينجو من سَقَر ومن الجحيم، وهي نورٌ لصاحبها تُخرِجُه من ظلمات الحياة وتِيهِهَا؛ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ (البقرة: 143)، فهذه دلالة صريحة على أن الصلاة من صميم الإيمان، وقد فسَّرَها جملةٌ من المفسِّرين بهذا الأمر؛ ففي تفسير ابن عباس رضي الله عنه: "ليُبطل إيمانَكم كقَبْلَ نسخِ الشرائع، ويقال: وما كان الله ليضيع لينسخ إيمانكم، ولكن نسخ شرائعَ إيمانِكم. ويقال: ما نسخ إيمانَكم صلاتُكم نحوَ بيتِ المقدس، ولكن نسخ قِبلَتَكم بيتَ المقدس ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ﴾ بالمؤمنين ﴿لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ لا ينسخ إيمانكم كقبل نسخ الشرائع"[31].

وقال النَّسَفي رحمه الله: "أي: صلاتكم إلى بيت المقدس، سمَّى الصلاةَ إيمانًا؛ لأنَّ وجوبَها على أهل الإيمان وقبولها من أهل الإيمان وأداؤها فى الجمعة، دليلُ الإيمانِ، ولمَّا توجَّه رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة، قالوا: كيف بمن مات قبلَ التحويل من إخواننا؟ فنزلت، ثُم علَّل ذلك فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾، لا يُضيع أجورَهم، والرَّأفةُ أشدُّ من الرحمة"[32].

إنَّ هذه النُّقولات المُسبَكة بالذهب، لتُوضِّح بجلاء كيف أنَّ الصلاة هي الإيمان؛ ففيها تأثير كبير على الإيمان، في زيادته وتقصانه، بل هي محدد في بقاء أصل الإيمان أو ذهابه، والآيُ في هذا متوافرة متضافرة.

ولو تأمَّلْنا حديثَ النبي صلى الله عليه وسلم في شأن تأثير فضيلة الصلاة، والحرص على التبكير لها وزيادة الإيمان الحاصلة بذلك؛ فعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لو يعلمُ الناسِ ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلَّا أن يَستَهِمُوا عليه، لاستَهَموا، ولو يعلمون ما في التهجير لَاستبَقوا إليه، ولو يعلمون ما في العَتَمة والصبح، لأَتَوْهُما ولو حَبْوًا»[33].

قال ابن رجب رحمه الله في الشرح: "قوله: ((لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول))؛ يعني: لو يعلمون ما فيهما من الفضل والثواب، ثم لم يجدوا الوصولَ إليهما إلَّا بالاستهام عليهما –ومعناه: الإقراع– لَاستَهَموا عليهما؛ تنافُسًا فيهما، ومشاحَّة في تحصيل فضلِهِما وأجرِهما"[34].

---

[31] الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، ص20.

[32] النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج1، ص139.

[33] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان، رقم 615، ج1، ص126.

[34] ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **فتح الباري**، ج5، ص286.

وهذا فيه تأكيدٌ واضح بيّن على الأجر الكبير والواسع، والفضل العظيم من الله على أهل الصلاة والحريصين عليها.

وقال ابن حجر رحمه الله: "وقال الطِّيبي: أطلق مفعول (يعلم)، وهو (ما) ولم يبين الفضيلة ما هي؛ ليفيد ضربًا من المبالغة، وأنَّه مما لا يدخل تحت الوصف والإطلاق، إنما هو في قَدْرِ الفضيلة"[35].

وهذا يدل على الأجر الذي لا يُحَدُّ ولا يُعَدُّ لأهل هذه المراتبِ العليَّة؛ بل هي أول ما يحاسَب عليه العبدُ يومَ القيامة؛ ففي الحديث: عن تميمٍ الدَّاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ أوَّلَ ما يحاسَب به العبد الصلاة، فإن وُجد صلاتُه كاملة، كُتبت له كاملة، وإن كان فيها نقصان، قال الله تعالى للملائكه: انظروا، هل لعبدي مِن تطوُّعٍ فأكمِلوا له ما نقص من فريضته، ثم الزكاة، ثم الأعمال على حسب ذلك))[36]. فهي فريضةٌ عظيمة، فيها بحرٌ من زيادة الحسنات وتكثيرها ورفع الإيمان؛ بل إنَّ الصلاة فيها عميقُ المناجاةِ لله سبحانه وتعالى، وخضوعٌ وإخباتٌ له عزَّ وجلَّ، ومن ذلك: ما جاء عن أنس بن مالك، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أحدَكم إذا صلَّى يناجي ربَّه، فلا يَتْفِلَنَّ عن يمينه، ولكن تحت قدمِه اليُسرى»[37].

يقول ابن حجر رحمه الله: "ومناجاةُ الربِّ جلَّ جلالُه، أرفع درجات العبدِ، فأشار المصنِّف بإيراد ذلك إلى الترغيب في المحافظة على الفرائض في أوقاتها؛ لتحصيل هذه المنزلةِ السنيَّة التي يخشى فواتها على مَن قصَّر في ذلك"[38].

إنَّ المناجاة لله، مِن أعمق القُرَبِ وأكثرِها في التأثير على الإيمان وزيادته، ولا شكَّ أنَّ كلَّ طاعةٍ هي سبب في زيادة الإيمان، فكيف بشأن الصلاة؟ ففيها العمق الكبير والتأثير البارز في زيادة الإيمان وارتفاعه.

ويقول الإمام ابن رجب رحمه الله: "وإنَّ المصلي مناجٍ لربِّه في صلاته، وإذا كان المصلي مناجيًا لربِّه وكان ربُّه قد أوجب عليه أن يناجيَه كلَّ يومٍ وليلة خمسَ مرَّاتٍ في خمس أوقات"[39].

---

[35] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري** ج2، ص96.

[36] الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، **سنن الدارمي**، ج2، ص855، قال أبو محمد: " لا أعلم أحدا رفعه غير حماد قيل لأبي محمد: صح هذا؟ قال: لا "[تعليق المحقق] إسناده صحيح.

[37] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب المصلي يناجي ربه عز وجل، رقم 513**، ج1، ص112.

[38] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري**، ج2، ص14.

[39] ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **فتح الباري**، ج4، ص232.

وهذه المناجاة ليست مرةً واحدةً في اليوم؛ بل تتكرر على الدوام في اليوم والليلة، وفيها حُسنُ صِلَةٍ بالله عزَّ وجلَّ، وكمالُ التضرُّع والخنوعِ والخضوعِ له سبحانه وتعالى.

إنَّ تصريح الصادق المصدوق -بأبي هو وأمي- على أنَّ الصلاة فيها مناجاةٌ لله عزَّ وجلَّ، لَدلالةٌ واضحة صريحة على الزيادة الثقيلة بالإيمان، والصِّلة الوثيقةِ بالله، ومن ذلكم أنَّ المؤمن لا ينشغل بالبُصاق؛ لأنَّه منشغلٌ بمناجاته، وتوجُّهُه في القِبلةِ لله سبحانه وتعالى.

إن من الوسائل لتحقيق تعلق الناس بالصلاة وتطبيق هذا الأمر في واقع حياتهم ، توضيح مدى حاجة الناس لرفع الإيمان وزيادته وهذا مطلب تهفو له كل النفوس المؤمنة ، والصلاة تحقق هذا المطلب أعظم تحقيق ، وهذا المعنى الدقيق يغذى به الناس حتى تصير الصلاة هي رمز لكل خير ومن أعظم الخير أنها سبب أساسي ورئيسي لزيادة الإيمان ورفعته ، وهذا يجعل القلوب تهفو وتشتاق لهذه الفريضة .

المبحث الثالث: الأثر النفسي لفريضة الصلاة

إنَّ الصلاة فريضة جليلة تُوجِد لفاعلها أثرًا نفسيًّا كبيرًا على نفسه وشعوره، وهذا الأثر هو من البواعث الكبرى للديمومة عليها، وطلبها، والمسابقة والمسارعة إليها، وكثرة الخطا إليها، ولو تأمَّلْنا مدى الارتباط الديني بهذه الفريضة، وتأديتها في جماعةٍ خمسَ مرات في اليوم والليلة، ومناسبة الجمعة والعيدين، لَوجدنا اهتمامًا بالغًا من الشريعة بهذه الفريضة، وما تورثه في قلب المرء من الأُنس والحياة الرغيدة الهانئة السعيدة؛ فالمرء بدون صلةٍ يوميَّة دائمة مع الله، هو لا شيء، ويستوي بالبُهم التي لا تعقل.

وقد لفت القرآن الكريم النظرَ إلى حاجة المرء للعبادة، وأنَّ ارتباطه بالعبادة ارتباطٌ لمصلحته الدينية الأُخرويَّة، وأيضًا فإنَّ إعراضَه عن هذا الخير، سؤثِّر سلبًا على نفسه، وسينتقل من حياة الراحة والطُّمأنية إلى العيشة التعيسة والضَّنْك؛ يقول تعالى ذِكرُه: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ١٢٤﴾ (طه: 123، 124).

إنَّ هذه الآيات الكريمة، تُوقظ القلوبَ وتَقرَع الآذانَ مخافةَ أن يذوق العاصي المُعرِض عيشةَ الضَّنكِ – والعياذ بالله– بسبب بُعدِه وإعراضِه عن الله، والضنك أثرٌ نفسي سيئ، يُورِثُ الكَدَرَ والشقاءَ والتعاسة الدائمة في الدنيا قبلَ الآخرةِ، والضنكُ هو الضِّيقُ الذي لا يفارق الإنسانَ[40].

فهذا الضِّيقُ يَسوقُ المرءَ لإيجاد أيِّ سبيلٍ لتخليص نفسِه مما يجد في صدرِه وما يُثقِلُه ويَجْثِم عليه، بسبب بُعدِه وإعراضِه عن الله؛ يقول الإمام السعدي رحمه الله:

"﴿وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي﴾؛ أي: كتابي الذي يتذكَّر به جميعَ المطالب العالية، وأن يتركه على وجه الإعراض عنه، أو ما هو أعظم من ذلك؛ بأن يكون على وجه الإنكارِ له، والكُفر به ﴿فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا﴾؛ أي: فإنَّ جزاءه أن نجعل معيشتَه ضيِّقةً مشقة، ولا يكون ذلك إلَّا عذابًا.

وفُسِّرت المعيشةُ الضَّنْك بعذاب القبر، وأنَّه يُضَيق عليه قبرُه، ويُحصَر فيه ويُعذَّب؛ جزاءً لإعراضه عن ذِكر ربِّه، وهذه إحدى الآيات الدالَّة على عذاب القبر. والثانية: قولُه تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الآية (الأنعام: 93). والثالثة: قوله: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ

---

[40] ينظر: الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج4، ص1598، و ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **مقاييس اللغة**، ج3، ص373.

ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ (السجدة: 21)، والرابعة: قوله عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾ الآية (غافر: 46).

والذي أوجب لمن فسَّرها بعذاب القبر فقط من السلف، وقَصَرَها على ذلك –والله أعلم– آخرُ الآية، وأنَّ الله ذَكَرَ في آخِرِها عذابَ يوم القيامة. وبعضُ المفسِّرين يرى أنَّ المعيشةَ الضَّنْك، عامَّةٌ في دار الدنيا، بما يصيب المُعرِضَ عن ذِكرِ ربِّه من الهموم والغموم والآلام، التي هي عذابٌ معجَّل، وفي دار البرزخ، وفي الدار الآخرة، لإطلاق المعيشة الضنك، وعدم تقييدها"[41].

إنَّ حالة الضَّنْك شقاءٌ دائمٌ يلازم المُعرِض عن الله، والذي نكص عن الصراط المستقيم وارتكب الآثامَ، وأعرَضَ عن المَلِك العلَّام سبحانه وتعالى، والمتأمِّل لحال الأتقياء والأبرار، وما يصنعونه في تمام الراحة النفسيَّة لهم في الديمومة على الصلاة وتقديمها على كل شيء، يُدرِك تمامًا كيف هو التأثير الشامل في الراحة والسعادة والطمأنينة الحاصلة، ولو نظرنا في ديباجة المصطفى عليه الصلاة والسلام، ففي الحديث:

عن سالم بن أبي الجَعْد، عن رجلٍ مِن أَسْلَمَ، أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يا بلال، أرحنا بالصلاة))[42].

وفي روايةٍ أخرى: عن سالم بن أبي الجعد، عن عبد الله بن محمد ابن الحنفيَّة، قال: دخلتُ مع أبي على صِهرٍ لنا من الأنصار، فحضرت الصلاة، فقال: يا جاريةُ، ائتني بوَضُوءٍ لعَلِّي أُصلِّي، فأستريح، فرآنا أَنْكَرْنا ذاك عليه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة))[43].

إنها الراحة الكبيرة العظيمة التي يطلبها كلُّ الناس والبشر، ويُنفِقون لأجلها نفائسَ وكرائمَ أموالِهم، ويجوبون البلادَ طُولًا وعرضًا بحثًا عنها، وهي أقربُ وأيسر من ذلك؛ إنها الراحة والأثر النفسي الجميل حينما يُقبِل المرءُ على على الصلاة بما فيها من الخضوع والمناجاة لله وطَرْح الهموم والمكدِّرات وما يلقاه المرءُ من الكبد في الحياة الدنيا، تأتي الصلاةُ بمثابة الاستراحة من عناءٍ وكَدَر وكَبَد هذه الحياةِ

---

[41] ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص: 515.

[42] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج38، ص178؛ قال المحقق : رجاله ثقات، لكن اختلف على سالم بن أبي الجعد في إسناده.

[43] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج38، ص225؛ قال المحقق: رجاله ثقات، لكن اختلف فيه على سالم بن أبي الجعد.

وروي في: أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، **سنن أبي داود**، كتاب الأدب، باب في صلة لعتمة، رقم 4986، ج4، ص297؛ قال المحقق : حكم الألباني: صحيح.

الذي لا ينتهي، إنها الصلاة بتأثيرها النفسي الساحر، بسَلْب كلِّ ما يلقاه الإنسان والجسم من العناء والضِّيق والتَّعَب، فتأخذ الصلاة كلَّ هذا وتُلقِيه بعيدًا، وهذا نعيمٌ معجَّل لأرباب الخير والمواظبين على الصلوات، نعيم في الدنيا وفضل كبير من الله، مع ما أعدَّه الله لهم من النعيم السَّرْمَدِي الأبدي، ولو تأمَّلْنا قولَه تبارك وتعالى في مُحكَم التنزيل: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ١٦﴾ (السجدة: 16).

هذه الأجساد لا تبتعد عن المراقد الوفيرة إلَّا لراحةٍ أكبرَ، ونعيمٍ أدوم من الفُرُش والسُّرُر، فهم يجدون من اللَّذَّةِ أضعافَ أضعافَ ما يجدون في نومهم؛ يقول السعدي رحمه الله:

"ترتفع جنوبُهُم، وتنزعج عن مضاجِعِها اللذيذة، إلى ما هو ألذُّ عندَهم منه وأحبُّ إليهم، وهو الصلاة في الليل، ومناجاة الله تعالى"[44].

قيامُ الأجساد من راحةٍ لراحة أكبر، وتركُهم للنعيمِ لنعيم أكبر في القيام بين يدي الله سبحانه وتعالى.

وفي الحديث:

عن ابن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((عَجِبَ ربُّنا عزَّ وجلَّ من رجلين: رجل ثار عن وِطائه ولحافه، من بين أهله وحبِّه إلى صلاته، فيقول ربُّنا: أيَا ملائكتي، انظروا إلى عبدي، ثار من فراشه ووطائه، ومن بين حبِّه وأهله إلى صلاته، رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي، ورجلٌ غزَا في سبيل الله عزَّ وجلَّ، فانهزموا، فعلم ما عليه من الفرار، وما له في الرجوع، فرجع حتى أهريق دمُه، رغبةً فيما عندي، وشفقةً مما عندي، فيقول الله عزَّ وجلَّ لملائكته: انظروا إلى عبدي، رجع رغبةً فيما عندي، ورهبةً مما عندي، حتى أهريق دمه))[45].

وهذا الحديث العظيم، يوضِّح ويؤكد فضلَ الصلاة، وأنَّ صاحبَها تحفُّه العنايةُ الربَّانية، وخروجه من فراشه ووطائه دليلٌ على أنَّ قلبه مرتبط ونفسُه سعيدة باللقاء الكبير والعظيم بينه وبين ربِّه في هذه الصلاة والمناجاة. والمتأمِّل للمرحلة العالية في الراحة النفسية؛ أن يقوم الإنسان ويثور من الفراش للقاء الله، ليس أمرًا سهلًا، إلَّا أنَّ صاحبه يلقى أضعافَ الراحة وأضعاف السعادة التي يطلبها من نومه؛ ولذا تجدُه يتجافى ويثور عن الفراش والوطاء، مما يدل على أنَّ اللَّذَّة بالصلاة وما وجده فيها فاقت كلَّ شيءٍ، حتى مصدر الراحة والهناء قد فاقتها الراحةُ الحقيقية النفسيَّة بالصلاة، وهذه الراحة والأمن النفسي بالديمومة

---

[44] ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، ص655.

[45] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج7، ص62؛ قال المحقق: إسناده حسن إلا أن الدارقطني صحح وقفه. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

على الصلاة والحرص عليها وتقديمها على كلِّ شيء من المحابِّ والملاذِّ الدنيوية، فكافأهم الله بأن صارت لهم الصلاة هي السعادة وهي اللذة، وهي الأُنس الكامل والحياة الرَّغِيدة والسعيدة، وذوق طعم الإيمان والمكافأة من الله لمن وَقَرَ الإيمانُ في قلبه، وكانت الصلاة بالنسبة له هي الحياة؛ ومن ذلك ما ورد في الحديث ،

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((سبعةٌ يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يومَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّه: الإمام العادل، وشاب نشأ في عبادة ربِّه، ورجلٌ قلبُه معلَّقٌ في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله، اجتَمَعَا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل طلبَتْه امرأةٌ ذات منصبٍ وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق أخفى؛ حتى لا تعلم شمالُه ما تُنفق يمينه، ورجلٌ ذَكَرَ الله خاليًا ففاضت عيناه))[46].

قال الإمام ابن رجب رحمه الله: "((معلق في المساجد))؛ أي: شديد الحب لها، والملازمة للجماعة فيها"[47].

وقال ابن حجر رحمه الله:

"قوله: ((معلق في المساجد))، هكذا في الصحيحين، وظاهرُه أنه من التعليق، كأنَّه شبَّهه بالشيء المعلَّق في المسجد كالقنديل –مثلًا– إشارةً إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسدُه خارجًا عنه، ويدل عليه رواية الجَوْزَقي: ((كأنما قلبُه معلَّق في المسجد))، ويحتمل أن يكون من العلاقة، وهي شِدَّةُ الحبِّ، ويدل عليه رواية أحمد: ((معلق بالمساجد))، وكذا رواية سلمان: ((من حُبِّها))، وزاد الحموي والمستملي: ((متعلق))، بزيادة مثناة بعد الميم وكسر اللام، زاد سلمان: ((من حبها))، وزاد مالك: ((إذا خرج منه حتى يعود إليه))، وهذه الخصلة هي المقصودة من هذا الحديث؛ للترجمة، ومناسبتها للركن الثاني من الترجمة –وهو فضل المساجد– ظاهرةٌ، وللأول من جهة ما دلَّ عليه من الملازمة للمسجد واستمرار الكون فيه بالقلب، وإن عَرَضَ للجسد عارضٌ"[48].

الله أكبر! هذا التعلُّقُ من مزيد الحبِّ، والتعلق بالمساجد وما فيها من الراحة الكبيرة والطمأنينة العظيمة، وذكر القلب والتعلق به، دلالةٌ على حبٍّ كبير وتعلُّقٍ شديد بهذه العبادة العظيمة، ومدى الوَلَهِ بها والحرصِ عليها، وشديد الحاجة النفسيَّةِ لها؛ والتعلقُ لا يكون إلَّا من لهفةٍ شديدةٍ، وراحةٍ نفسيَّةٍ قلبيَّة عميقة، نسأل اللهَ من فضلِه.

---

[46] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، كتب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، رقم 660، ج1، ص133.

[47] ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **فتح الباري**، ج6، ص45.

[48] ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري**، ج2، ص145.

إن تعيين الدواء لمن به حاجات نفسية ومشكلات أزلية ، تكمن في إرشاد ذوي العناية والرأي ممن له مباع في علاج المشكلات النفسية على تنوع وسائلها وأشكالها وتعددها أن يحثوا الناس إلى هذا العلاج الرباني وأنه وسيلة أساس في دفع ورفع كثير من المشكلات النفسية والآثار الناتجة عن ضغطات الحياة وما يلحق بها فالصلاة تحقق هذا المطلب وتجعل الشخص مرتاح الضمير والفؤاد مطمئن النفس .

المبحث الرابع: الأثر الاجتماعي لفريضة الصلاة

إنَّ الصلاة تلك الفريضة العظيمة، لها آثارٌ وأبعادٌ كبرى على الفرد والمجتمع، ومِن تلكم الآثار ما يتعلَّق بالأثر الاجتماعي لفريضة الصلاة؛ فالنفوسُ حينما تهذَّب بهذه الصلاة كما في قوله تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ (العنكبوت: 45).

يقول الإمام الرازي في تأويل الآية: "نُقل عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «مَن لم تَنْهَهُ صلاتُه عن المعاصي، لم يَزْدَد بها إلَّا بُعدًا»[49].

فنقول: الصلاة تَنهَى من وجوه؛ الأول: هو أن من كان يخدم مَلِكًا عظيمَ الشأنِ كثيرَ الإحسانِ ويكون عنده بمنزلة، ويرى عبدًا من عباده قد طَرَدَه طردًا لا يُتصوَّر قَبولُه، وفاته الخبر بحيث لا يرجى حصولُه، يستحيل من ذلك المقرَّبِ عُرفًا أن يترك خدمةَ الملكِ ويدخل في طاعة ذلك المطرود، فكذلك العبدُ إذا صلَّى لله صار عبدًا له، وحصل له منزلةُ المصلي يناجي ربَّه، فيستحيل منه أن يترك عبادة الله ويدخل تحت طاعة الشيطان المطرود، لكن مرتكب الفحشاء والمنكر تحت طاعة الشيطان؛ فالصلاةُ تَنهَى عن الفحشاء والمنكر. الثاني: هو أنَّ مَن يباشر القاذورات -كالزبَّال والكنَّاس- يكون له لباسٌ نظيف إذا لَبِسَه لا يباشر معه القاذورات، وكلَّما كان ثوبُه أرفعَ يكون امتناعُه وهو لابسه عن القاذورات أكثرَ، فإذا لبس واحدٌ منهم ثوبَ ديباج مذهب، يستحيل منه مباشرة تلك الأشياء عُرفًا، فكذلك العبد إذا صلَّى لَبِسَ لباسَ التقوى؛ لأنه واقف بين يدي الله واضعًا يمينَه على شماله على هيئةِ مَن يقف بمرأى مَلِكٍ ذي هيبةٍ، ولباس التقوى خيرُ لباسٍ يكون نِسبتُه إلى القلب أعلى من نسبة الديباج المذهب إلى الجسم، فإذن مَن لَبِسَ هذا اللباسَ يستحيل منه مباشرةُ قاذورات الفحشاء والمنكر. ثم إن الصلوات متكرِّرةٌ واحدةً بعد واحدةٍ، فيدوم هذا اللبس فيدوم الامتناع.

فإذا كان ذلك القدرُ من القربة يمنعه من المعاصي والمناهي، فبتكرُّرِ الصلاة والسجود تزداد مكانتُه، حتى يرى على نفسه من آثار الكرامة ما يستقذر معه من نفسه الصغائر، فضلًا عن الكبائر"[50].

وهذا الاستطراد في تفسير كيفيَّة تأثير الصلاة على الإنسان، ومدى تغيُّرِه وانتقاله من حالٍ إلى حال؛ إنَّ التأكيد الرباني في هذا الشأن والصدد، لَهو أمرٌ تطلبه المجتمعات وتَرْنُو إليه في تحقيق الأمن والسِّلم

---

[49] الألباني، محمد ناصر الدين، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، رقم 5834، ج1، ص842.

[50] الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، ج25، ص61.

المجتمعي؛ لأنَّ المجتمعات تَئِنُّ أنينًا من وطأة المنكرات وما تُخلِّفُه مِن شرٍّ مستطيرٍ على المجتمع وتَفَكُّكه، ناهيك عن الفحشاء في مفهومها العام وما يتعلق بها من خطرٍ داهمٍ على الأفراد والمجتمعات. إنَّ أكثر ما يُهدِّد المجتمعاتِ انتشارُ الفحشاء والمنكَر، وما ينتج من خلالهما من آثار وخيمة ونتائج كارثية على أخلاق المجتمع وسلوكيَّاته، فينشأ مجتمعٌ منحرِف، رَبَت فيه هذه الظواهر السلبية المؤذية، وتغلغلت في سُويدائه دون تقويم وتصحيح. إنَّ محاولة المجتمعات والدول تقليص معدلات الجريمة وانحراف المجتمع، لا يتأتى بالدرجة الأولى في تطبيق الجانب الرادع في الحساب الأمني فقط، ما لم يترتب على ذلك علاجٌ جذري لأصل المشكلة وبادرة الانحراف، إنَّ إقامةَ هذه الفريضة العظيمة وإلزام الناس بها في منتدياتهم وأماكن أعمالهم، سيعود بالتماسك المجتمعي والتلاحم الروحي؛ لِمَا تُسبِلُه الصلاة من جلباب الحرير المعطَّر بالمِسك والعُود على المجتمع بكافَّةِ أطيافه وتشكلاته.

إنَّ الصلاة هذا الركن الركين في الشريعة، يعالج الانحرافات المجتمعية بكافَّة أشكالها وألوانها، ويقتلع جذورَ الشرِّ من أصلها، ويرمي بها بعيدًا؛ ولذا فإنَّ الواجب على المربِّين وذوي الهيئات ومَن وُسِّدَ لهم الأمرُ، أن يولوا هذا الجانب في الشريعة الغرَّاء عنايةً هامة في أثناء توجيههم للمجتمعات والأفراد والمؤسَّسات، وبذلك تختفي الفحشاء والمنكر؛ لأنَّ المجتمع صار متمسِّكًا بهذه الفريضة العظيمة، وإذا صَلُحت علاقتُه مع الله، فمن الطبيعي أنها ستصلح تلقائيًّا مع البشر. وهذه القضية ليست قضيَّةً ثانوية وهامشية، بل هي عميقةُ الأثر، وركيزة أساسية في الإصلاح المجتمعي، والأخذ بيده لمراقي الصعود والسُّؤدُد.

وغاية المنى في هذا الباب، أنَّ آيَ القرآن في غالبها تحثُّ على إقامة الصلاة بلفظ الجمع لا الفردية، مما يدل على عمق هذا المعنى في الشريعة وأهميته؛ لِما للمسجد واجتماع الناس في جماعاتهم وجمعهم من حصول أُلفَةِ المجتمع، وتماسُكِه، وتعاضُدِه، والسعي الحثيث في التآخي الكبير بين طبقات المجتمع دون تمييز بين طبقة وأخرى، أو نظرةِ ازدراءٍ من فئة لأخرى؛ فالجميعُ يُصَلُّون في صفٍّ واحدٍ دونَ تفرقةٍ أو عنصرية، أو ما من شأنه أن يفرق بينهم أو يخالف بين كلمتهم، ولو تأمَّلْنا في الآي الكريمة، لَوجدنا الأمرَ بإقامة الصلاة بلفظ الجماعة فحسبُ، وأمَّا أمرُ الفرد بالصلاة؛ فهو أقلُّ من لفظ الجماعة، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ (البقرة: 3).

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ (البقرة: 43).

وقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ٤٥﴾ (البقرة: 45).

إنَّ هذه الآي الكريمة، كلها أتت بصيغة الجمع في أمر الإقامة، وأنها ليست على الفرد؛ بل الجماعةُ مأمورةٌ بها، مما يدل دلالةً واضحة صريحة على أنَّ الأمر بالاجتماع، وما يتحقق من خلاله، مقصودٌ لذاته في الشريعة الغرَّاء؛ لِما في ذلك من تحقيق المصالح العالية والفوائد الجمَّة، من تحقيق الحُبِّ والتعاون، والتواصل والتآزُر، وقضاء الحاجات، والتَّوَاصِي بالبِرِّ والتقوى، وهذا تُحقِّقُه الجماعة؛ لأنها اجتماعٌ للآخرة وليس في شأن الدنيا؛ لأنَّ الدنيا مثارٌ للخِلاف والافتراق في اختلاف الحاجات والمصالح. أمَّا الدينُ؛ فإنه يَجمع ولا يُفرِّق، ولَنظرةٌ والناسُ متراصُّون كلُّهم بلا استثناء، تدلُّ على هذه الحقيقة العميقة؛ بل أكَّد القرآن العظيم مبدأ المسجد في جملةٍ من الآي الكريمة التي حدَّدت مكانَ الصلاة في المساجد وعمارتها،

يقول الحقُّ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥﴾ (البقرة: 125).

هذه الآيات الكريمة، وضَّحت معنيين دقيقين؛ الأول: إقامة الصلاة من قِبل الجماعة، والثاني: أنها تُقام في المساجد، كي تُعمَر المساجدُ بالخير العميم في ارتياد المصلِّين لها، وما يحصل من اجتماعهم في هذه المساجدِ من خيرٍ وهدى وبركة. والسيرةُ النبوية حافلةٌ بهذا الأمرِ، فالمساجد هي المنطلَقُ لكلِّ أبوابِ الخير والبركة والهداية للعالمين والبشرية، وأصلُ تأسيسها على هذا الأمر لا غير.

والمساجدُ جُعلت لتحقيق التقوى، والجمعِ والأُلْفة والخيريَّة للمجتمعات بأَسْرها، فكلُّ خيرٍ وكلُّ بادرةِ خيرٍ أيًّا كانت، لا بد أن يكون مبعثها ومنطلقها المسجد، بيت الله؛ لأنَّه مأوى المتطهِّرين حِسًّا ومعنى، فجمعوا أصول الطهارة الحسيَّة والمعنوية، فاستحقوا بذلك وصف الرجال، الذين قال الله عنهم في محكم التنزيل: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ٣٧ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ٣٨﴾ (النور: 36– 39).

إنَّ هؤلاء الأفذاذ النجوم الطاهرة،لم تُلهِهِم الدنيا بزُخرُفِها وزينتها عن تحقيق العبادة في المساجد، والاجتماع لذكر الله سبحانه وتعالى؛ فاستحَقُّوا بذلك وصفَ الرجال المتطهرين من الدَّنَس والأوساخ الحسيَّة، والأشدُّ من ذلك الأوساخُ المعنوية؛ من الشِّرك، والشك، والرَّيْب، فهم أنقياءُ أصفياءُ في ظاهرهم وباطنهم، نسأل الله من فضله.

ولو تأمَّلْنا حالَ النبي صلى الله عليه وسلم مع الجماعة، وحِرْصَه على عدم تركِها حتى في مرض موتِه، مما يدل على كبير وعظيم اهتمامِه صلى الله عليه وسلم بصلاة الجماعة؛ لأنها تُحقِّق مصالحَ عديدةً، فمن ذلك:

عن أبي هريرة، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده، لقد هَمَمْتُ أن آمُرَ بحطبٍ، فيُحطَبَ، ثم آمُر بالصلاة، فيؤذَّن لها، ثم آمر رجلًا فيؤم الناسَ، ثم أخالف إلى رجال، فأحرق عليهم بيوتَهم، والذي نفسي بيده لو يعلم أحدُهم أنه يجد عَرْقًا سمينًا، أو مِرْمَاتَيْنِ حسنتين، لَشَهِدَ العشاء»[51].

إنَّ هذا الحديث العظيم، يوقِظُ القلوبَ المؤمنة بهذا التهديد والوعيد من النبي صلى الله عليه وسلم، فيمن تعمَّد تركَ الجماعةِ، وغفل عنها، ونهيُهه عليه الصلاة والسلام، وتوبيخُه لتاركها يدلُّ على خطر الأمر، وأنه من الأمور التي تنبغي العناية الكاملة بها وعدم تركها. إنَّ الصلاة في المسجد مع الجماعة لها وزنٌ ثقيل في الشريعة في باب الأجر والمثوبة من الله، ومن ذلك ما رواه الأعمش، قال: سمعت أبا صالحٍ يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((صلاةُ الرجلِ في الجماعة تضعف على صلاته في بيته، وفي سُوقه، خمسًا وعشرين ضِعفًا؛ وذلك أنه: إذا توضأ، فأحسن الوضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخرِجُه إلَّا الصلاةُ، لم يَخطُ خطوةً إلَّا رفعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة، فإذا صلَّى لم تزل الملائكة تُصلِّي عليه، ما دام في مصلاه: اللَّهُمَّ صلِّ عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاةٍ ما انتظر الصلاة))[52].

إنَّ هذه الأجور العظيمة فيمن خرج من بيته قاصدًا طاعةَ اللهِ وعبادته، ورَغِبَ فيما عند الله، فيكافؤ بالأجر العظيم والثواب الجزيل على كل خطوة يخطوها وكلِّ فعلٍ يفعله؛

بل إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم، لم يأذن لابن أُمِّ مكتومٍ في تركها وهو يسمع النداء؛ ففي الحديث: عن أبي هريرة، قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ أعمى، فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائدٌ يقودني إلى المسجد، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخِّصَ له، فيصلي في بيته، فرخَّص له، فلمَّا ولى، دعاه، فقال: «هل تسمع النداء بالصلاة؟» قال: نعم، قال: «فأَجِبْ»[53].

قال الإمام النووي رحمه الله: "قوله: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل أعمى فقال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يرخص له فيصلي في بيته فرخص له، فلمَّا ولَّى دعاه فقال: ((هل تسمع النداء بالصلاة؟))، فقال: نعم، قال: ((فأجب))؛ هذا الأعمى هو ابنُ أُمِّ مكتوم، جاء مُفسَّرًا في سنن أبي داود وغيره، وفي هذا الحديث دلالةٌ لِمن قال:

---

[51] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم 644**، ج1، ص131.

[52] البخاري، محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب وجوب صلاة الجماعة، رقم 647**، ج1، ص131.

[53] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب يجب إتيان المسجد على من سمع النداء، رقم 653، ج1، ص452.

الجماعةُ فرضُ عينٍ، وأجاب الجمهور عنه بأنه سأل: هل له رخصةٌ أن يصليَ في بيته وتحصل له فضيلة الجماعة بسبب عُذرِه؟ فقيل: لا. ويؤيد هذا، أنَّ حضور الجماعة يسقط بالعذر بإجماع المسلمين، ودليلُه من السنة حديث عِتْبَانَ بنِ مالكٍ المذكور بعد هذا، وأمَّا ترخيصُ النبي صلى الله عليه وسلم له ثُمَّ ردُّه وقوله: ((فأجب))؛ فيحتمل أنه بوَحْيٍ نزل في الحال، ويحتمل أنه تغيَّرَ اجتهادُه صلى الله عليه وسلم إذا قلنا بالصحيح، وقول الأكثرين: إنه يجوز له الاجتهاد، ويحتمل أنه رخَّص له أولًا وأراد أنه لا يجب عليك الحضور؛ إمَّا لعُذرٍ، وإمَّا لأنَّ فرض الكفاية حاصلٌ بحضور غيرِه، وإمَّا للأمرين، ثم نَدَبَه إلى الأفضل فقال: الأفضلُ لك والأعظمُ لأجرِك، أن تُجِيبَ وتحضر، فأَجِبْ، والله أعلم"[54].

بل بَلَغَ من أمر الصحابة رضي الله عنهم في شأن صلاة الجماعة، أنَّهم يُقِرُّون أنَّ الذي يتخلَّف عنها من غير عُذرٍ هو من المنافقين، عياذًا بالله؛ لأنَّ حالَ الصحابة رضي الله عنهم، حتى مع تعبِ بعضِهم وما يحصل له من الألم والشدة، يحضرون ويحرصون على الصلاة في الجماعة، ومن ذلك ما جاء في الأثَر: حدثنا عبد الملك بن عمير، عن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله: «لقد رأيتُنا وما يتخلَّف عن الصلاة إلَّا منافقٌ قد عُلم نفاقُه، أو مريض، إن كان المريضُ لَيمشي بين رَجُلَين حتى يأتي الصلاة»، وقال: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم علَّمَنا سُنَنَ الهدى، وإنَّ مِن سُنَن الهدى الصلاة في المسجد الذي يؤذَّن فيه»[55].

إنَّ هذه الأحاديث والروايات المباركة، تدلُّ على عِظَم قدرِ الصلاة في قلوب القوم، وما يجدونه من الخير والسعادة في الاجتماع على هذه الصلاة المباركة في المسجد، إن المساجد والاجتماع فيها يحقِّقُ السِّلمَ المجتمعي وما ترنو له المجتمعات المعاصرة من الرُّقي في الأخلاق والسلوك، واللُّحمة الشاملة لكلِّ أفراد وشرائح المجتمع، والصلاة جماعةً تحقِّق هذا الأمرَ بأَيْسَرِ الطُّرُق وأسهل الأساليب؛ ولذا فإنَّ المجتمع المسلم كلمَّا كان متصلًا بالمسجد، وكلَّما كان المسجدُ منطلَقًا لكلِّ خير، ترقَّت المجتمعاتُ وبلغت السُّؤدُدَ في كلِّ شيء، وتربَّعت على عرش الأُمَم والحضارات.

إن تحقيق مطلب السعادة الاجتماعية وصلاح المجتمع وخلوه من المعضلات المجتمعية ، كفيلة بهذا الأمر الصلاة وما تحققه من تقارب روحي عميق بين المصلين ، ولذا وجب على ذوي الهيئات والمؤسسات الدينية وجهات التعليم ، أن يوجهوا المجتمع لهذا الباب الكبير الذي فيه صلاهم وهناؤهم ،بل وقلة المشكلات التي تجيئ في المجتمع ويعسر حلها ، لأن بيئة المصلين بيئة تحقق السلم

---

[54] النووي، يحيى بن شرف، **شرح النووي على مسلم**، ج5، ص155.

[55] النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب صلاة الجماعة من سنن الهدي، رقم 654 ج1، ص453.

المجتمعي بكافة أشكاله وصوره وتعدد اتجاهاته ، وتبيين هذا أأمر وتوضيحه دائما عبر المنابر المختلفة يحقق هذا الأثر ويسعى في رقس المجتمع ورفعته الدينية والدنيوية .

الخاتمة

الحمدُ لله وكَفَى، والصلاة والسلام على النبي المصطفى والرسول المجتبى، وعلى آله وصحبه ومَن اقتَفَى؛ وبعدُ:

فإنَّ الصلاة هي الفريضة السماوية العظيمة، التي لها شأنٌ عظيم في دين الإسلام، وهي الركن الثاني بعد الشهادتين، والمتأمِّل لآثارها على الفرد في علاقته مع ربِّه سبحانه وتعالى في باب زيادة الإيمان ورفع الدرجات وتكثير الحسنات، يجدها بابًا مفتوحًا لرِفعة وزيادة الإيمان والتقرب من المِلك العلَّام، كما أنَّ لها أثرًا نفسيًّا بارزًا على المرء، وما ينتج عن ذلك من ثمار سلوكية مَرْضِيَّة. ومن الآثار الكبرى للصلاة، الأثر الاجتماعي في تقويم سلوك المجتمع، وجَعلِه مجتمعًا مثاليًّا يترقَّى في مراقي الخير والهدى والبركة، وينشأ مجتمعًا متراحمًا متآخيًا، يحنو بعضُه على بعض، وهو كالبُنيان يَشُدُّ بعضُه بعضًا. وبعدُ، فهذه بعضُ النتائج والتوصيات من خلال هذا البحث:

أبرز النتائج:

1- تأثير الصلاة الكبير على إيمان المرء في زيادته وما يتنج عن ذلك من التغيير الجذري في حياته

2- أثر الصلاة الإيماني يظهر جليا في الديمومة على الصلوات الخمس وتخلية القلب وتطهيره من أدران المعاصي والآثام .

3- تظهر الصلاة آثارها الإيمانية للمرء في بعده عن الذنوب والآثام وإقباله على الملك العلام

4- تعد الصلاة مقومًا أساسيًا في إصلاح أخلاق الناس وسلوكهم وعاداتهم

5- الحرص على الصلاة يحق أثرا نفسيا مريحا للمرء يجعله يتعلق بها ولايتركها ولا يتأخر عنها

6- الصلاة تحقق الأمان النفسي التي تطلبه كثير من الشخصيات وتبحث عنه

7- تحقق الصلاة الأثر النفسي في سعادة المرء الدائمة وابتهاج نفسه وحبورها

8- تعد الصلاة هي مكان الاجتماع الأساسي لكل المسلمين وهي بذلك تحقق الترابط الاجتماعي.

9- الصلاة توفر المناخ المناسب لإقامة العلاقات الاجتماعية الحميدة بين فئات المجتمع وتشكلاته

10- توفر الصلاة التكافل الاجتماعي المبني على روح الأخوة والتعاون بين رابطة المصلين واجتماعهم الدائم

11- تحقق الصلاة في المساجد بيئة صالحة وكفيلة بتقويم أخلاق الناس وسلوكياتهم، وبثِّ رُوحِ الإخاء والتعاون والمساواة، ونَبْذِ التعصُّبِ والخُيَلاء.

أبرز التوصيات:

1- أنَّ على الجميع أن يوجِدوا مراكزَ متخصِّصة تبحث في الآثار لهذه الفريضة العظيمة على الفرد والمجتمع.

2- أنَّ من الأمور التي ينبغي العناية بها على صعيد المؤسَّسات، الاهتمام بتوعية الشباب بأهمية الحرص على الصلاة في المساجد؛ حتى يحقق لهم التطور في السلوكيات، واكتساب الأخلاق الفاضلة ونبذ ما سواها، من خلال البيئة المباركة في المساجد.

وصلَّى الله وسلَّم على سيدنا ونبيِّنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمدُ لله ربِّ العالَمين.

المصادر والمراجع

- الألباني، محمد ناصر الدين، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، (المكتب الإسلامي، د.ط، د.ت).
- الألوسي، محمود بن عبد الله الحسيني، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، المحقق: علي عبد الباري عطية، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، **صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، (دار طوق النجاة [مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي]، ط1، 1422هـ).
- البركتي، محمد عميم الإحسان المجددي، **التعريفات الفقهية**، (بيروت: دار الكتب العلمية (إعادة صف للطبعة القديمة في باكستان 1407هـ - 1986م)، ط1، 1424هـ - 2003م).
- البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط4، 1417هـ - 1997م).
- البغوي، الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط1، 1420هـ).
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي، **التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط1، 1403هـ - 1983م).
- الجصاص، أحمد بن علي، **أحكام القرآن**، المحقق: محمد صادق القمحاوي- عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، 1405هـ).
- الجوهري، إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت: دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ- 1987م).
- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، **غياث الأمم في التياث الظلم**، المحقق: عبد العظيم الديب، (مكتبة إمام الحرمين، ط2، 1401هـ).

- ابن حجر، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار المعرفة، د.ط، 1379هـ).
- ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ – 2001م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، المحقق: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، د.ط، 1420هـ).
- الخازن، علي بن محمد بن إبراهيم، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، المحقق: تصحيح محمد علي شاهين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415هـ).
- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل، **سنن الدارمي**، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، (المملكة العربية السعودية: دار المغني للنشر والتوزيع، ط1، 1412 هـ – 2000م).
- أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق، **سنن أبي داود**، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (صيدا– بيروت: المكتبة العصرية، د.ط، د.ت).
- ابن دكين، الفضل بن عمرو بن حماد، **الصلاة**، المحقق: صلاح بن عايض الشلاحي، (المدينة: السعودية، مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1417هـ– 1996م).
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط3، 1420هـ).
- ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تحقيق: محمود بن شعبان بن عبد المقصود، وآخرين، (المدينة النبوية: مكتبة الغرباء الأثرية، ط1، 1417هـ– 1996م).
- رشيد رضا، محمد رشيد بن علي، **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 1990م).
- الزركشي، محمد بن عبد الله بن بهادر، **المنثور في القواعد الفقهية**، (الكويت: وزارة الأوقاف الكويتية، ط2، 1405هـ – 1985م).
- الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط2، 1407هـ).

- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين، **الأشباه والنظائر**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1411هـ- 1991م).
- ابن سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1420،1هـ -2000م).
- الطبري، محمد بن جرير بن يزيد، **جامع البيان في تأويل القرآن**، المحقق: أحمد محمد شاكر، (لبنان: مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ- 2000م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، **التحرير والتنوير**، (تونس: الدار التونسية للنشر، د.ط، 1984هـ).
- عبد المنعم، محمود عبد الرحمن، **معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية**، (القاهرة: دار الفضيلة، د.ط، د.ت).
- ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، د.ط، 1399هـ- 1979م).
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، (بيروت – لبنان: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، 1426 هـ - 2005 م).
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس**، (لبنان، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، (بيروت: دار الكتب العلميه، ط1، 1418هـ).
- القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط2، 1384هـ- 1964م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **الصلاة وأحكام تاركها**، (المدينة المنورة: مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة، د.ط، د.ت).
- المروزي، محمد بن نصر بن الحجاج، **تعظيم قدر الصلاة**، المحقق: د. عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، (المدينة المنورة: مكتبة الدار، ط1، 1406هـ).

- المقدسي، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور، **أخبار الصلاة**، تحقيق: محمد عبد الرحمن النابلسي، (دمشق: دار السنابل، ط1، 1416هـ - 1995م).
- مكي بن أبي طالب حموش بن محمد، **الهداية إلى بلوغ النهاية**، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، (كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة: مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط1، 1429هـ- 2008م).
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط3، 1414هـ).
- النخجواني، نعمة الله بن محمود، **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، (الغورية: دار ركابي للنشر، ط1، 1419هـ- 1999م).
- النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، (بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1419هـ- 1998م).
- النووي، يحيى بن شرف، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط2، 1392هـ).
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج، **صحيح مسلم**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ط، د.ت).